

شاعر

للأستاذ أحمد أمين

من شعراء الجاهلية الشاعر المتدين أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طرّيج الثقفي ، والشاعر الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير القوي الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد ابن القاسم الثقفي فاتح السند ولما يكتمل العشرين . والذي قال فيه القائل :

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة

يا قرب ذلك سودداً من مولد
كما أن ثروتهم وحضارتهم استتبعت شهرتهم بالفجور
والربا حتى أن رسول الله لما صالحهم كان من شروط الصلح
أن يسلبوا وألا يزونا ولا يربوا

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في
شروع الخمر بينهم ولولوع أهلها بشربها
وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية ، ولكن بين
خاصتهم لا بين عامتهم ، إذ أن عامتهم قد عدموا القوت وحرموا
ضرورات العيش . أما المترفون فشربوا كثيراً وقالوا في
شربها كثيراً . وقل أن نجد شاعراً جاهلياً لم يتمدح بشربها
وإتلاف ماله في سبيلها .

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ،
وكان الأعشى الشاعر يتجر فيها ، وكان له بقية في اليمن يقال
لها « أثاف » ، معصرة للخمر يعصر فيها ما يقدم له من أعناب
ونلاحظ من تاريخ العرب في الجاهلية وتراجم رجالها
أن هناك طبقة من الشباب اعتادت أن تتلف ماله في الشراب ،
هم فئة من أولاد السراة ، نشأوا في ثروة وجاه ، وألفت بينهم
وحدة النزعة ، يجتمعون في المواسم والأعياد والمناسبات
فينحرون الجزور ويهاهم ، ويشربون عليه وتغنيهم القيان
أو الموالى من الفرس والروم والأحباش ، ولكن هذه
الطبقة لم تفقد مع شربها ولها شرفها وإبائها ، فهي مع ذلك
كله نبيلة كل النبل شريفة كل الشرف — ثارت على كل شيء
إلا قانون المروءة ، وقانون المروءة يتلخص في الشجاعة
والكرم . لا يعبأون بالحياة ، يذلونها — في سخاء — لأنجاد
من استجد بهم ، ونصرة الضعيف يستصرخهم ويلجأ إليهم ،

شاعرنا اليوم نشأ جاهلياً ، ونشأ في الطائف . والطائف
مدينة في الجنوب الشرقي من مكة تبعد عنها خمسة وسبعين ميلاً ،
اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها . وقد اعتاد المترفون
من العرب أن يقضوا الربيع بمحبة ، والضيف بالطائف ،
والشتاء بمكة . قال النميري يصف أخت الحجاج بالنعمة :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

أخصبت أرضها ، وجرى الماء في وديانها ، فكثرت
مزارعها ، وجادت فواكهها ، من نخيل وأعناب . بها جبل
يقال له « غزوان » ، كثرت كرومه ، وكان عنبه العذب وزينه
الحلو مضرب المثل جودة وكثرة ، حتى ليروون أن سليمان بن
عبد الملك لما حج رأى يادر الزبيب فظنها حراراً (١) فقالوا
ليست حراراً ولكنها يادر الزبيب

وقد حسدهم العرب على ما هم فيه من نعمة ، فسوروا
بلدتهم وحصنوها من أعدائهم ، فصارت ملجأ الهارب وملاذ
الخائف ، وضرب المثل بمناعتها حتى قال القائل :

منعنا أرضنا من كل حى كما امتنعت بطائفها ثقيف
كان يسكن الطائف قبيلة ثقيف ، وقد أكتسبهم أرضهم
و ثروتهم وطبيعة بلادهم وجوهم رقياً في الحياة من الناحية
الاجتماعية والعقلية ، فاقوا فيها من حولهم من السكان ،
وشعروا بعظمتهم فأكثرُوا من الفخر بأنفسهم ؛ وقال قائلهم :

وقد علت قبائل جذم قيس وليس ذوو الجهالة كالعليم
بأننا نضبح الأعداء قدماً سيجان الموت بالكأس الوخيم
وأنا نبتني شرف المعالي وننحش عثرة المولى العديم
وأنا لم نزل لجأ وكفا كذاك الكهل منا والفظيم
وقد أنجبت ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والاسلام ،
كما أنجبت ساسة وقادة نه ذكرهم ، وعظم أمرهم ، فاشتهر منها

(١) الحرار جمع حرة أرض برقانية شوماء ، ويلاذ العرب حرار كثيرة

لا قيمة لحياتهم إذا مست كرامتهم أو كرامة قبيلتهم أو اعتدى أحد على جارهم أو حليفهم أو عبدهم . ولا قيمة للمال يوم يسألهم سائل أو يدعوهم لبذله داع ، ولا بأس بالفقر يحل بهم وينزل بساحتهم ، ولا ضرر إذا خسروا المال وكسبوا الشرف ، وويل لزوجاتهم إذا لمنهم في الاستهتار بالحياة أو إتلاف المال ، إذ ذاك يصبون عليهم نعمتهم ويمثلون الدنيا شعرا في لومهم وتأنبهم

شاعرنا اليوم كان من هذه الطبقة . قى . غنى . من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم ، يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحفظ بالمروءة ويقول

لا تسأل الناس عن مالى وكثرته

وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى

القوم أعلم أنى من سرائهم

إذا تطيش يد الرعديدة الفرق

قد أركب الهول مسدولا عساكره

وأكتم السر فيه ضربة العنق

عف المطالب عما لست نائلة

وإن ظلمت شديد الحقد والحق

وقد أجود وما مالى بنى فنع (١)

وقد كرر وراء المجنح الفرق (٢)

سبيكثر المال يوما بعد قلته

ويكتسى العود بعد اليبس بالورق

ظلت ثقيف على جاهليتها لا تدعن لدعوة الاسلام حتى

أسلم من حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام

في السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه

فوقف حائرا ؛ إن الاسلام يدعو إلى المروءة وهو ذومروءة ،

إن الاسلام يدعو إلى الصدق ومكارم الأخلاق وكل هذا

حسن فليسلم . ولكنه يأمر المؤمنين أن يفضوا من أبصارهم ،

ولا يمدوا أعينهم إلى غير نساءهم ، كما ينهى عن الخمر ويعاقب

على شربها ، فكيف يسلم وقد ألف الغزل ولا حياة له بغير

(١) الفنع زيادة المال ومال ذو فنع . كثير . (٢) البحر المارب الذى الجى الى البحر

الخمر ؟ وقف قليلا ولكنه أسلم مع قومه وفوض إلى الله أمره . ولم نسمع عنه في حياة رسول الله وأبى بكر شيئا ولكننا نراه اصطدم مع عمرو وهو الشديد في الحق لا تأخذه فيه هواة . فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل في حائط يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

ولقد نظرت الى الشموس ودونها

حرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر في الخمر :

ان كانت الخمر قد عزت وقد منعت

وحال من دونها الاسلام والخرج

فقد أباكروها صرفا وأمزجها

ريئا وأطرب أحيانا وأمتزج

فيحده عمر حد الشرب ، فيفكر شاعرنا ويطل التفكير :

هل يترك الغزل والخمر ؟ - لقد كان ذلك قبل الحد أما بعده

فلا - إن من العار أن يتحدث الناس أنى تركت الخمر خوفا من

العقوبة وأنا الأبي الشجاع الذى لا يعبأ بالحياة - إذن فلا شرب

وليحدثنى عمر - وفعلا شرب فحد ، وشرب فحد ، وبلغ ذلك سبع

مرات أو ثمانيا ، وهو لا يزال على رأيه ، مصمم على تفكيره ،

ماض فى غزله وشربه ، حتى يش عمر من علاجه وضاق به

ذرعا ، فقرر أن ينفيه فى جزيرة كانت تنفى فيها العرب فى

الجاهلية خلعاها ، وبعث معه حرسيا يحافظ عليه حتى لا

يهرب ، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفا معه ، وقد عرف عمر

كيف ينتقم ، فلم يألم شاعرنا من شىء ألمه من هذا رأى - سيكون

فى جزيرة وحده لا غزل ولا شراب ، ولكن ليس هذا ما ألم

نفسه وأدعى قلبه ، إنما ألمه أن يعيش عيشة الضعفاء المساكين

والرجال فى غزوات الحرب يقتلون ويقتلون ، وأن يعيش

عيشة النساء فى خدورهن وهو الفارس الكمى ، لا . لا . الموت

أهون من هذا

تظاهر شاعرنا بأنه يحمل غزارتين ملتتا دقيقا وعمد إلى

سيفه فجعل نصله فى غرارة ، وجفنه فى غرارة ، ودقهما فى الدقيق

حتى إذا جاوزهم والحرسى المدينة ولقيهم من سفرهما هذا نصباً جلوساً للغدا، فقام شاعرنا يومهم أنه يخرج دقيقتاً فأخرج سيفه ووثب على الحرسى فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى المدينة وظل صاحبنا وحده. الآن، لا أعود إلى المدينة وفيها عمر، ولا أطوف في البلاد ألهو فلست بعد اليوم لا هيا، ولكن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة — إلى مواقع الغزوات، إلى أشدها هولاً، وأصعبها مراساً إلى القادسية، حيث المواقع الفاصلة بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولكن عمر الساهر على كل شيء في مملكته، لم يخف عليه أمر شاعرنا، فعرف أين توجه، فواصل إلى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه، ففعل ذلك وحبسه في قصره وقيدته، فشى يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب إلى سلى زوج سعد وقال لها: هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عني وتعيرينني البقاء (فرس سعد) فله على إن سلتني الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي، فأبت فقام نائراً حزيناً، يرى القتال على الباب وهو يرسف في القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات:

كني حَزَنًا أن تطعنَ الخيل باللقنا

وأتركَ مشدودًا على وثاقيا

إذا قت عَنَانِي الحديدُ وغَلَقَتْ

مَغَالِيْقُ مِنْ دُونِ قَصِيمِ الْمَنَادِيَا

وقد كنت ذا أهلٍ كثيرٍ وإخوة

فقد تركوني واحداً لا أخا لي

هلم سلاحي لا أبالك أني

أرى الحربَ لا تزدد إلا تماديا

ولله عهد لا أخيس بعَهْدِهِ

لئن فَرَجَتْ أَلَا أُرَوِّرَ الْحَوَانِيَا (١)

سمعت سلى هذا الشعر فرئت له ورات الصدق في قوله فأطلقته، واقتاد فرس سعد وخرج إلى مواطن القتال وإذا به

(١) الحوائج جمع حاية وهي الحائوت

أمام الناس يقف بين الصفين ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره، ورأوا الفرس فرس سعد والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم، حتى إذا انتصف الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجليه في القيد

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلى سعداً بما كان منه فأطلقه وعاهده ألا يحده أبداً إذا شرب

الآن ظهرت نفس شاعرنا في شرفها ونبلها وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد، فأما اذ بهزجتني فلا والله لا أشربها أبداً

لقد كان مما أخذته عمر عليه قوله:

إذا مت فادفني إلى أصلِ كَرَمَةٍ

تروى عظامي بعد موتي عروقه

ولا تدفني بالقلعة فاني

أخاف إذا ماتت ألا أذوقها

ويشاء قاص من الظرفاء فيروى أنه رأى قبره بتواحي

أذريجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت

وأثمرت واعتشت، وعلى قبره مكتوب: —

هذا قبر أبي محجن الثقفي

أفاض الله عليه سجال رحمة فقد كان رجلاً وكان نبيلاً

أحمد أمين

إلى أخينا في الوطن والشباب

إن الجهاد من أجل مصر فريضة على كل مصري... وهي

فريضة حملها الشباب في كل المواقف مخلصين لها، أمناء عليها.

وها هو ذا عيد الوطن الاقتصادي ميدان جديد لجهادك،

وحسن بلائك... فماذا يقعد بك عن الانتظام في جيش

المتطوعين لنصرته ١٩٥٠...

... توزع الدليل، وتبيع المنتجات، وتشترك في الموكب

والمهرجان، وتدعو إلى صناعة مصر وتجارتها.

اطلب الاستمارة الخاصة بذلك من سكرتير اللجنة التنفيذية

بمقرها في نادي الجامعة المصرية ٢٢ شارع المناخ بمصر

تليفون ٥٠٥١٨